تصدير
«لماذا ندرس تأريخ الأدب»

ما هو المسوغ الذى يقتادنا الى أن نكتب تأريخا لأدب اللغة العربية: مع أن هناك عشرات النماذج التى صدرت فى هذا الميدان، و هى أكثر تفصيلا و عمقاً مما حاولناه فى هذه الدراسة المختزلة؟.

إن التفصيل و العمق يكتسبان أهميتهما فى حالة واحدة هى: أن يوظفا من أجل القيم الخيرة، أما أن نفصل الكلام و نتغلغل إلى أعماقه عرضا و محاكمة و حصيلة من أجل إبراز القيم الشريرة أو حتى من أجل القيم المحايدة التى لا تحمل خيرا أو شرا، فأمر لا يحمل أية قيمة، بل يحمل قيمة سلبية دون أدنى شك، من وجهة النظر الإسلامية و الانسانية أيضا بصفة أن كل ما هو «إنسانى» ينتسب بالضرورة إلى ما هو اسلامى» مادام الإسلام يجسد خاتمة المبادىء التي صاغتها السماء للكائن الادميّ.

إنه من المؤسف جدا أن نلحظ أن أدب الجنس و الخمر و الغناء و اللهو بعامة، مضافا الى الأدب الزائف (مدح الملوك و الوزراء... الخ)؛ و الأدب العدوانى (الهجاء الذاتى... و ليس الموضوعى)، و الأدب الذاتى (الفخر...). هذه الأنماط من الأدب السلبى تغطى خارطة النتاج المكتوب باللغة العربية، و غالبية الآداب الأجنبية أيضا، فى مطلق العصور.

أمثلة هذا الأدب هى جزء من الانحراف الاجتماعى الذى لا يزال علماء الاجتماع و النفس و التربية الأرضيون أنفسهم يجهدون فى تشخيصه و علاجه لتحقيق التوازن الفردى و الاجتماعى.. و مع ذلك نجد: أن المعنيين بشؤون الأدب يؤرخون لأمثلة هذا النتاج المنحرف بحجة «الموضوعية فى البحث» و بحجة أنه (فن) يحقق الاشباع

للحاجات الجمالية لدى البشر: علما بأن أبسط مبادىء المعرفة تقرر بأن الحاجات البشرية ينبغى أن تحقق من خلال الطرائق السوية للاشباع و ليس من خلال الاشباع المنحرف.

ان الممارسات الجنسية و الخمرية، على سبيل المثال، تعد باجماع المعنيين بشؤون علم النفس المرضى سمات للشخصية المنحرفة حيث يدرجان ضمن مصطلح أمراض الشخصية.. و مع ذلک نجد أن مؤرخى الأدب يعنون بدراسة الأدب الجنسى و الخمرى و يتعمقون فى رَصدِ أدق الدلالات التى توفر عليها هذا الشاعر أو ذاک فى تجربته المنحرفة جنسيا و خمريا و سائر الاشكال المنحرفة، و كان ما أنتجه الشاعر أو الكاتب من أدب منحرف هو شيء مقدس لابد من تقديمه للقارىء من قبل مؤرخى الأدب.

لقد حاولت دراستنا السريعة لتأريخ الأدب أن تتجنب هذه المزالق التى وقع فيها مؤرخو الأدب، واضعين بنظر الإعتبار أن التأريخ أو التراث ينبغى أن نفيد منه فى «الحاضر»، مستهدين فى ذلك بخُطَىٰ القرآن الكريم الذى يؤرخ للماضين و قصصهم باعتبار ذلک «عبرة وعظة» (لقد كان فى قصصهم عبرة..) و ليس لمجرد الإمتاع و التسلية و اللهو.

طبيعيا، من الممكن أن نعرض ـ ولو اشارة ـ بعض النماذج غيرالسوية، الا أن ذلك يتم فى نطاق الرد عليها و ليس مجرد تسجيلها حتى يتبين للقارىء ما ينبغى أن يفيد منه و ما ينبغى أن يلفظه منه.

و لعل أهم ما حاولنا ابرازه فى هذه الدراسة السريعة هو: العناية بأدب التشريع الإسلامى، كتابا و سنة. فبالرغم من أن نصوص التشريع الإسلامى تعنى، فى الدرجة الاولى، بالقيم الفكرية المستهدفة أساسا، إلا أن قسما منها يتسم بالإعجاز الفنى، كالنص القرآنى الكريم، و قسما منها يتسم بالكمال النفى (نصوص السنة)، و قسما منها يراعى من خلاله أكثر من جانب فنى: مما يتطلب عرضها فى صدر الكلام على الفترة الأدبية التى نؤرخ لها: بخاصة (أدب أهل البيت عليهم السلام) الذى تجاهله مؤرخو الأدب، عدا نصوص نهج البلاغة التى فرضت تميزها الفنى فى هذا الميدان بحيث أصبحت النموذج

الذى أفاد منه كبار الكتاب، و من ثم توفر مؤرخو الأدب على دراسته.

يدرك الكتّاب و القرّاء جيّداً مدى الجهد الذي يبذله الا خصّائيّون في إخراج كتاب و تنقيحه، فيقدّمون خدمة ثقافيّة جليلة.

والكتاب الذي بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ راجعه و دقـقه فـنّيّاً السـيّد رضـا ارغيانى و شارك فى تنظيم صفحاته و تنضيدها السيّد نعمت اللّٰه طباطبائى و قابله السيّد صفاءالدين البصري و تولى تنفيذ الغلاف السيد ابراهيم البصري.

و لذا نشكر هؤلاء السادة و نثمّن جهودهم، راجين اللّٰه تعالى أن يرزقهم ثـواب العاملين في حقل نشر الثقافة الإسلامية و ترويجها.

مجمع البحوث الإسلامية